Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليست العرب أقل عنادًا وتمسكًا بدين الآباءِ، من أُمم قبلها كذبت بالحق لما جاءَها.

وهذه قريش، لم تصدق سمعها حين جهر فيها المصطفى بدعوته. وكان فى حسابها أن تلقاه مجتمعة على الرفض والتكذيب.

أما وقد آمن به مَن آمن، فقد وجدت الكثرةُ الضالة ما تقوله تخديرًا لضميرها بمنطق عنادها ومقاييس مجتمعها:

ـ أيؤثَر «محمد بن عبدالله» بالنبوة، وما عرفت له قريش مالاً ممدودًا ولا بنين شهودًا، وإن عرفت له شرف المنبت وكرم الخلق ونقاءَ السيرة ؟.

أينزل عليه هذا القرآن، ولا ينزل على رجل عظيم من أصحاب الثراءِ والعدد والجاه والنفوذ، فى مكة أو فى الطائف؟

لقد أمضى شبابه كله لم يجمع مالاً، ولا تهالك على ما كان قومه يتهالكون عليه من وظائف السيادة ومراكز الجاه فى المجتمع القرشى بأم القرى.

ثم هو أب لبناتٍ أربع، لم يولد له من البنين غير عبد الله والقاسم، وقد ماتا صغيرين فى سن الرضاعة. وزوجه خديجة شارفت سن اليأس بعد أن بلغت الخامسة والخمسين من عمرها، ولا يبدو عليه أنه يفكر فى أن يستبدل زوجًا أخرى مكانها أو يتزوج عليها، وهى أنس دنياه وموضع حبه وإعزازه، وحياتها الزوجية مضرب الأمثال فى حسن العشرة وصدق المودة وعمق التفاهم والإخلاص...

ولا تذكر قريش أنه شارك فيما يشغلها من صراع على مراكز القوى والجاه، إلا يوم جدَّدت بناءَ الكعبة قبل المبعث بخمس سنوات، وارتضت حكمه فيما شجر بين قبائلها من خلاف على الحجر الأسود، حسمه الأمين بحكمته. ثم لم يعد المجتمع المكى يرى محمدًا فى الزحام، حتى مضت خمس سنين وخرج من غار حراء يتلو كلمات الوحى..

قال الوليد بن المغيرة المخزومى، أبو خالد:

– أينزل القرآن على محمد، وأترك وأنا كبير قريش، ويُترك أبو مسعود عمرو بن عمير سيد ثقيف بالطائف، ونحن عظيما القريتين؟

وذاعت كلمته فى أهل القريتين: مكة والطائف، فتركتهم فى حيرة قد تشابه عليهم الأمر فى مقاييس العظمة التى يفضُل بها المصطفى، عظيمى القريتين.